بخدرة هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك
فقال هو هذا المسجد وقال في ذلك خير كثير يعني مسجد قباء طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد
ثنا حميد الخراط المدني سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن قال مر بي عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت كيف سمعت أباك في المسجد
الذي أسس على التقوى فقال أبي أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت في بيت لبعض نسائه فقلت يا رسول الله
أي مسجد أسس على التقوى قال فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال هو مسجدكم هذا ثم قال سمعت
يذكره رواه مسلم منفردا به عن محمد بن حاتم عن يحيى بن سعيد به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن
حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط وقد قال بأنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف
وهو مروي عن عمر وابنه عبد الله وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير وقوله
لمسجد أسس على التقوى من أول يوم الآية دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة أحق أن تقوم فيه
من أول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له واستحباب الصلاة مع جماعة الصالحين والعباد
العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء والتنزه عن ملابسة القاذورات وقد قال الإمام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيبا يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ الروم فيها فلما انصرف قال إنه يلبس علينا فأوهم
القرآن أن أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد معنا الصلاة فليحسن الوضوء
ثم رواه من طريقين أخريين عن شبيب أبي روح من ذي الكلاع أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ويعين على إتمامها وإكمالها والقيام
بمشروعاتها وقال أبو العالية في قوله إن الله يحب المتطهرين إن الطهور بالماء حسن ولكنهم المتطهرو
ن من الذنوب وقال الأعمش التوبة من الذنب والتطهر من الشرك وقد ورد في الحديث
المروي من طرق في السنن وغيرها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء قد أثنى الله عليكم في
الطهور فماذا تصنعون قالوا نستنجي بالماء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن
يتطهروا الآية فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا نتبع الحجارة بالماء رواه البزار ثم قال تفرد به
محمد بن عبد العزيز عن الزهري ولم يرو عنه سوى ابنه قلت وإنما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقها
ء ولم يعرفه كثير من المتأخرين أو كلهم والله أعلم أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن المحدثين
أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم يقول تعالى لا يستوي من أسس بنيا
نه على تقوى من الله ورضوان ومن بنى مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب
الله ورسوله من قبل فإنما يبني هؤلاء بنيانهم على شفا جرف هار أي طرف حفيرة مثاله في نار جهنم والله
لا يهدي القوم الظالمين أي لا يصلح عمل المفسدين قال جابر بن عبد الله رأيت المسجد الذي بني ضرارا ذكر لنا
يخرج منه الدخان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج أن رجالا حفروا فوجدوا الدخان
يخرج منه وكذا قال قتادة وقال خلف بن ياسين الكوفي رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في
القرآن وفيه جحر يخرج منه الدخان وهو اليوم مزبلة رواه ابن جرير وقوله لا يزال بنيا
نهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي شكا ونفاقا بسبب إقدامهم على هذا الصنيع الشنيع أورثهم

نفاقا

نفاقا في قلوبهم كما أشرب عابدو العجل حبه وقوله إلا أن تقطع قلوبهم أي بموتهم قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة وزيد بن أسلم والسدي وحبيب بن أبي ثابت والله عليم أي بأعمال خلقه حكيم في
مجازاتهم عليها من خير وشر والله أعلم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقا
تلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن
أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة وهذا من فضله وكرمه وإحسانه فإنه قبل العوض
عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له ولهذا قال الحسن البصري وقتادة بايعهم والله فأغلى ثمنهم وقال
شمر بن عطية ما من مسلم إلا ولله في عنقه بيعة وفى بها أو مات عليها ثم تلا هذه الآية ولهذا يقال
من حمل في سبيل الله بايع الله أي قبل هذا العقد ووفى به وقال محمد بن كعب القرظي وغيره قال عبد الله بن
رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ليلة العقبة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال أشترط لربي أن
تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا فما لنا
إذا فعلنا ذلك قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم الآية وقوله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون أي سواء قتلوا أو قتلوا أو اجتمع
لهم هذا وهذا فقد وجبت لهم الجنة ولهذا جاء في الصحيحين تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد
في سبيلي وتصديق برسلي بأن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال
من أجر أو غنيمة وقوله وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن تأكيد لهذا الوعد وإخبار
أنه قد كتبه على نفسه الكريمة وأنزله على رسله في كتبه الكبار وهي التوراة المنزلة على موسى
والإنجيل المنزل على عيسى والقرآن المنزل على محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله ومن
أوفى بعهده من الله أي ولا أحد أعظم وفاء بما عاهد عليه من الله فإن هذا كقوله ومن أصدق من الله
قيلا ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به الآية أي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد با
لفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون
لحدود الله وبشر المؤمنين هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة
والخلال الجليلة التائبون من الذنوب كلها التاركون للفواحش العابدون أي القائمون بعبادة ربهم محافظين عليها
وهي الأقوال والأفعال فمن أخص الأقوال الحمد فلهذا قال الحامدون ومن أفضل الأعمال الصيام وهو ترك الملاذ
من الطعام والشراب والجماع وهو المراد بالسياحة هاهنا ولهذا قال السائحون كما وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
في قوله سائحات أي صائمات وكذا الركوع والسجود وهو عبارة عن الصلاة ولهذا قال الراكعون الساجدون وهم مع
ذلك ينفعون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع العلم بما ينبغي فعله
ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علما وعملا فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق ولهذا قال و
بشر المؤمنين لأن الإيمان يشمل هذا كله والسعادة كل السعادة لمن اتصف به بيان بأن المراد بالسياحة الصيام
قال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود قال السائحون الصائمون وكذا روي عن سعيد بن جبير والعو
في عن ابن عباس وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس كل ما ذكر الله في القرآن السياحة هم الصائمون وكذا قال الضحاك ر
قال ابن جرير بإسناده عن عائشة قالت سياحة هذه الأمة الصيام وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير
وعطاء وأبو عبد الرحمن السلمي والضحاك وسفيان بن عيينة وغيرهم أن المراد بالسائحون الصائمون وقال الحسن

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)